حياة أعظم الرسل

إيذاء المصطفى صلى الله عليه وسلم

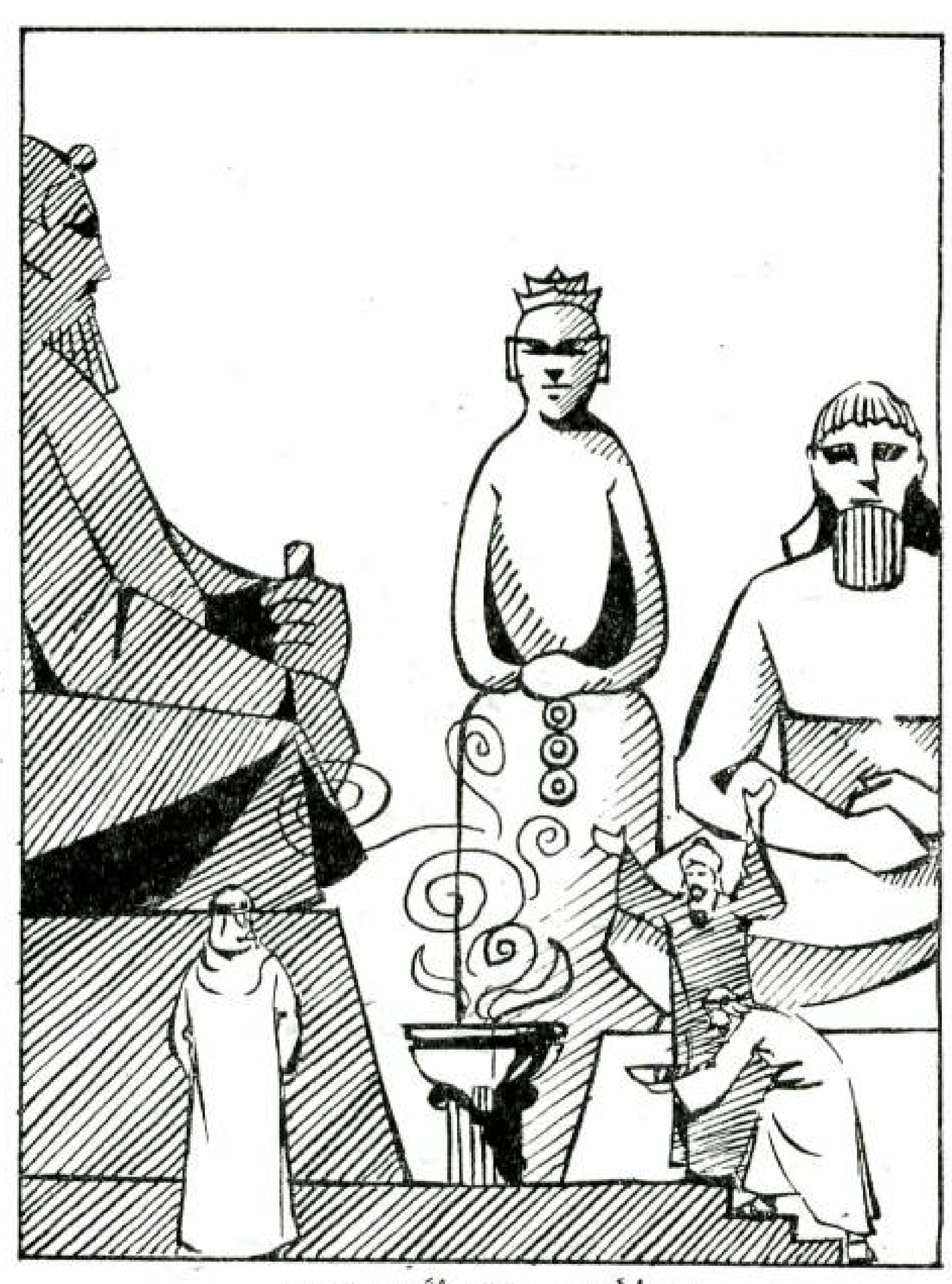
إِيذَاءُ المُصْطَفَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

إِذَا قَرَأْنَا كُتُبَ التَّارِيخِ وَجَدْنَا أَنَّ النَّاسَ لاَ يُرَحِّبُونَ بِأَيِّ إِصلاَحَاتٍ جَدِيدَةٍ ، تُخَالِفُ عَادَاتِهِمُ الَّتِى أَخَذُوهَا عَن آبائِهِم السَّابِقِينَ . فَهُم دَائِماً يُعَارِضُونَ كُلَّ جَدِيدٍ وَيَقُولُونَ : هٰذَا مَا وَجَدْنَا عَلَيهِ آبَاءَنَا ، وَلَو كَانَ آبَاؤُهُم لاَ يَفهَمُونَ شَيَئاً وَلاَ يَعقِلُونَ .

وَهٰذَا يَا بُنَىَّ مَا حَدَثَ تَمَاماً لِرَسُولِ اللهِ حِينَمَا بَدَأَ يَدعُو النَّاسَ لِعِبَادَةِ اللهِ

وَحدَهُ ، وَتَركِ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَالْحِجَارَةِ . فَقَد عَارَضَهُ مَن كَانَ يَعبُدُ الأَصنَامَ مِن أَهلِ مَكَّةَ أَشَدَّ الْمُعَارَضَةِ ، وَآذَوْهُ مَعَ أَصْحَابِهِ الَّذِينَ أَسلَمُوا . وَلَم يَنْجُ الرَّسُولُ مِن إِيذَائِهِم وَقَسْوَتِهِم ؛ فَذَاتَ يَومٍ كَانَ يُصَلِّى فِى الكَعْبَةِ ، فَأَحضَرُوا شَاةً مَذبُوحَةً ، وَرَمَوْا قَذَارَتَهَا فَوقَهُ وَهُوَ سَاجِدٌ ، فَعَلِمَتْ فَاطِمَةُ ابنَتُه ، فَجَاءَتْ وَأَزَالَتْ هٰذِهِ الْقَذَارَةَ ، وَنَظَّفَتْ مَكَانَهَا .

وَكَانَ إِذَا مَرَّ بِهِم فِى الطَّرِيقِ شَتَمُوهُ



صُورَةُ أَصْنَامٍ كَانَ الكُفَّارُ يَعْبُدُونَهَا .

بِكَلِمَاتٍ قَبِيحَةٍ ، وَقَد حَدَثَ أَنِ اجْتَمَعَ الْكُفَّارُ يوماً فِي فِنَاءِ الْكَعْبَةِ ، وَانتَظَرُوا حَتَّى حَضَرَ الرَّسُولُ لِيُصَلِّي ، فَهَجَمُوا كُلُّهُم عَلَيهِ ، وَضَرَبُوهُ ضَرْباً شَدِيداً ، وَوَقَفُوا حولَهُ ، وَقَالُوا لَهُ : هَل أَنتَ الَّذِى قُلْتَ عَن آلِهَتِنَا إِنَّهَا لاَ تَنفَعُ وَلاَ تَضُرُّ ، وَلاَ تَسمَعُ وَلاَ تُبصِرُ ؟ فَقَالَ لَهُم : نَعَم ، أَنَا . فَشَدَّ أَحَدُهُم رِدَاءَ (ثَوبَ) الرَّسُولِ ، وَرَبَطَهُ حَولَ رَقَبَتِهِ ، وَأَرَادَ أَن يَخنُقَهُ ، وَلَم يَكُنْ عَمُّهُ حَمزَةُ هُنَاكَ لِلدِّفَاعِ عَنهُ وَلِحُسْنِ الْحَظِّ كَانَ أَبُو بَكرٍ

الصِّدِّيقُ قَرِيباً ، فَسَمِعَ صُرَاخَ بَعضِ الحَاضِرِينَ فِى الْمَسجِدِ ، فَحَضَرَ مُسرِعاً وَمَعَهُ أَقَارِبُهُ ، وأَنقَذُوهُ من أيدِى الْمُجرِمينَ ، وَقَالَ أَبُو بَكرٍ وَهُوَ يَبكِى : أَتَقتُلُونَ رَجُلاً لِأَنَّهُ يَقُولُ : اللهُ رَبِّى ؟

وَذَاتَ يَومٍ كَانَ الرَّسُولُ سَاجِداً يُصَلِّى ، فَجَاءَ أَحَدُ الْكُفَّارِ ، وَوَضعَ قَدَمَهُ عَلَى رَقَبَتِهِ مُدَّةً طَوِيلَةً ، حَتَّى جَاءَ أَحَدُ الْمُسلِمِينَ ، وَأَبعَدَهُ عَنهُ ، وَنَجَّاهُ مِن الْكَافِرِ الظَّالِمِ .

أَبو جَهلٍ يَشتِمُ الرَّسُولَ :

وَفِى يَوْمٍ مَرَّ أَبُو جَهلٍ بِرَسُولِ اللّٰهِ فِى مَكَّةَ ، فَشَتَمَهُ ، وَأَخذَ يَسُبُّ الْإِسلامَ . فَصَبَرَ الرَّسُولُ ، وَلَم يُكَلِّمْهُ ، وَلَم يَشتِمْهُ . وَفِى تِلكَ اللَّحظَةِ سَمِعَت فَتَاةٌ شَتْمَ أَبِى جَهلٍ لِلرَّسولِ الْكَامِلِ . وَرَأَتِ الْمُصطَفَى يَرجِعُ إِلَى بَيتِهِ صَابِرًا ، تَارِكاً أَمرَهُ لِلّٰهِ .

عَمُّهُ حَمزَةُ يَنتَقِمُ لَهُ مِن أَبِى جَهلٍ :

وَبَعدَ قَلِيلٍ مَرَّ عَمُّهُ حَمزَةُ بِالْفَتَاةِ فَقَالَتْ لَهُ : يَا أَبَا عِمَارَةَ ، لَوْ رَأَيتَ مَا لَقِيَهُ

ابنُ أَخِيكَ مُحمدٌ مِن أَبِى جَهلٍ لَتأَلَّمْتَ لَهُ ، وَقصَّتْ عَلَيهِ مَارَأَتهُ . فَتَأَلَّمَ حمزَةُ كُلَّ الْأَلَمِ ، وَأَسرَعَ وَبَحَثَ عَن أَبِى جَهلٍ ، فَوَجَدَهُ جَالِساً مَعَ الْكُفَّارِ ، فَذَهَبَ جِهَتَهُ ، وَرَفَعَ قَوسَهُ ، وَضَرَبَهُ بِهَا ، فَجَرَحَهُ جُرْحاً مُؤلِماً ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : كَيفَ تَشتِمُ مُحمدًا ؟ إِنَّنِى مُؤمِنٌ بَدِينِ مُحمدٍ ، وَأَقُولُ مَا يَقُولُ . فَمَاذَا تُرِيدُ ؟

فَقَامَ الْكُفَّارُ لِيُدَافِعُوا عَن أَبِى جَهلٍ ، وَقَالُوا : هَل أَسْلَمْتَ يَا حَمزَةُ ؟ فَقَالَ حَمزَةُ : وَمَنِ الَّذِى يَستَطِيعُ أَن يَمنَعَنِى

عَنِ الْإِسلاَمِ ؟ وَقَد ظَهَرَ لِى تَمَامــاً أَنَّ مُحمداً رَسُولُ اللهِ ، وأَنَّ الْإِسلاَمَ دِيـنٌ حَقٌّ ، وَأَنَّ اللهَ وَاحِدٌ لاَشَرِيكَ لَهُ . فَقَالَ أَبُو جَهلٍ : أُترُكُوا أَبَا عِمَارَةَ ؛ فَإِنِّى واللهِ قَد سَبَبْتُ ابنَ أَخِيهِ سَبًّا قَبِيحاً ، وَشَتَمْتُهُ كَثِيرًا ، وَلَم يَرُدَّ عَلَىَّ بِكَلِمَةٍ .

وَثَبَتَ حَمزَةُ عَلَى إِسلامِهِ ، فَعَرَفت قُرِيشٌ أَنَّ الرَّسُولَ قَد قَوِىَ بِإِسلاَمِ عَمِّهِ حَمــزَةَ ، وَأَنَّ حَمــزَةَ سَيُدَافِــعُ عَنــهُ وَسَيَحمِيهِ .

وَفِى الصَّبَاحِ ذَهَبَ حَمزَةُ إِلَــى

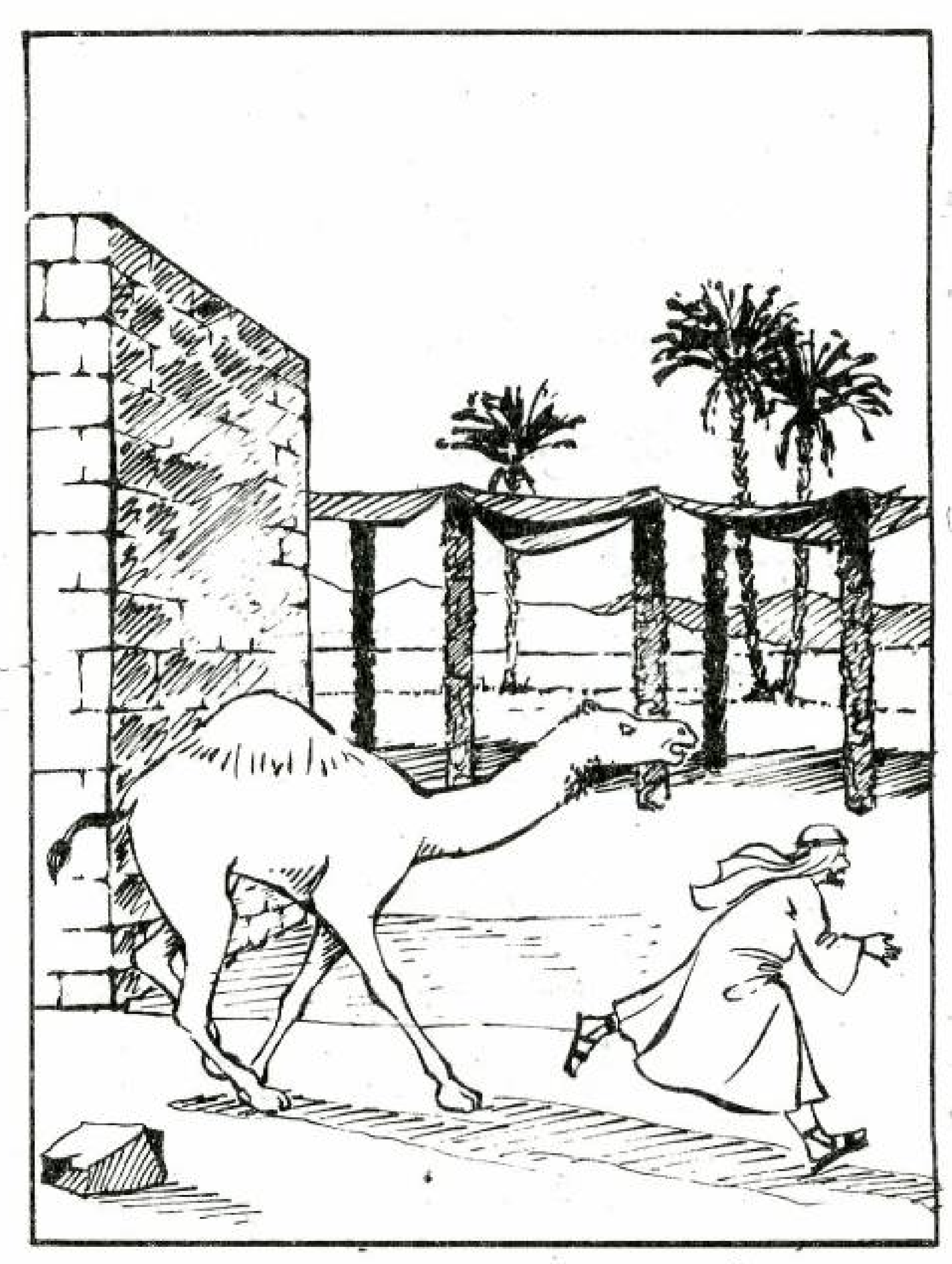
الرَّسولِ ، وَقالَ : أَشهَدُ أَن لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللّٰهُ ، وَأَنَّ مُحمـــدًا رَسُولُ اللّٰهِ . وَقـــالَ : أَظهِرْ دِينَكَ يَا ابنَ أَخِى ، وَلاَ تُبَالِ .

أَبُو جَهلٍ يُرِيدُ قَتلَ الرَّسولِ :

وَذَاتَ يَومٍ تَعَهَّدَ أَبُو جَهلٍ لِلْكُفَّارِ بِقتلِ الرَّسُولِ ، وَقَالَ لَهُم : غَداً سأُحضِرُ حَجَرًا كَبِيرًا لاَ يَستَطِيعُ أَحَدٌ أَن يَحمِلَهُ . وَسَأَنتَظِرُهُ فِى الْكَعبَةِ ، فَإِذَا سَجَدَ فِــى الصَّلاَةِ كَسَرْتُ بِهِ رَأْسَهُ . وَلْتَصْنَعْ بَعدَ ذٰلِكَ أُسرَتُهُ مَا تُرِيدُ .

قَالَ الكُفَّارُ : اِفعَلْ مَا تُحِبُّ ، وَسِرْ فِى طَرِيقِكَ ، حَتَّى نَتَخَلَّصَ مِنـهُ . وَفِــى

الصَّبَاحِ أَخذَ أَبُو جَهلٍ الْحَجَر ، وَجَلَس يَنتَظِرُ رَسُولَ اللهِ ، وَجَلَسَتْ قُرِيشٌ تَنْتَظِرُ مَايَفعَلُهُ أَبُو جَهلٍ . فَلَمَّا سَجَدَ الرَّسُولُ حَمَلَ أَبُو جَهلٍ الْحَجَرَ الثَّقِيلَ ، وَأَرَادَ أَن يَرمِيَهُ فوقَ رَأسِهِ لِيَقتُلَهُ . وَفَجأَةً رَجَعَ يَجرِى خَائِفًا مُضطَرِبًا اضْطِرابًا شَدِيدًا . فَقَالُوا له : مَالَكَ ؟ فَقَالَ أَبُو جَهلٍ : وَقَفَ بَينى وَبَينَ مُحمدٍ جَمَلٌ هائِجٌ كَالْوَحْشِ الْمُفتَرِسِ ، لَم أَرَ مِثلَهُ مِن قَبلُ ، وَلَم أَرَ كَأَنيَابِهِ ، وَقد هَجَمَ عَلَّى وَأَرَادَ أَن يَأْكُلَنِى . فَجَرَيْتُ وَهَرَبْتُ خوفاً مِنهُ .



أَبُو جَهلٍ يَجرِى مِنَ الْخَوفِ هَرَبًا .

إيذَاءُ الرَّسُولِ بالطَّائِفِ :

لَقَد نَصحَ لَهُ عَمُّهُ الْعَبَّاسُ بِالذَّهَابِ إِلَى الطَّائِفِ ؛ لِينشُرَ رِسَالَتَهُ وَمَبادِئهُ هُنَاكَ ، وَيَتخَلَّصَ مِن إِيذَاءِ الْكُفَّارِ فَى مَكَّـــةَ . وَاعتَقَدَ الرَّسُولُ أَنَّهُ سَيَجدُ فِى الطَّائِفِ مَن يُكرِمُهُ ، وَيَتَّبعُ مَا جَاءَ بِهِ . فَذَهَبَ مَاشِيًا لِيُدَافِعَ عَنِ الْعَبِيدِ وَالْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينَ ، وَيُقَدِّمَ نَفسَهُ لِأَصدِقَاءِ عَمِّهِ هُنَاكَ . وَقَد أَخَذَ مَعَهُ فِى رِحلَتِهِ فَتَاهُ الأَمينَ زَيدَ بن حَارِثَةَ . وَكَانَتِ الرِّحلَةُ طَوِيلَةً وَمُتعِبَةً .

وَأَخِيرًا وَصَلَ مُحمدٌ وَزيدٌ إِلَى الطَّائِفِ ، وَسَمِعَ الْأَغنِيَاءُ بِوُصُولِ مُحمدٍ ، فَلَم يَهتَمُّوا بِهِ أَوْ بِدَعْوَتِهِ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَدعُو إِلَى تَحرِيمِ الرِّبَا وَالْخمْرِ ، وَلَحمِ الْخِنزِيرِ . وَكَيفَ يَحصُلون عَلَى الثَّروَةِ إِذَا حَرَّمَ عَلَيهِمُ الرِّبَا ؟ وَمَاذَا يَفعَلونَ بِالخُمُورِ الَّتِى يُنتِجُونَها مِنَ الْعِنَبِ ، وَالْخَنَازِيرِ الَّتِى تَرعَى فِى مَرَاعِى الطَّائِفِ ؟ وَكَيفَ يَكُونُ لِلفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ حَقٌّ مَعلومٌ لَهُم فِى أَموالِ الْأَغنِيَاءِ ؟ وَكَيف يَتَسَاوَى الْعَبِيدُ وَالْعُمَّالُ

مَعَ السَّادَةِ وَأَصْحَابِ الْأَموَالِ ؟

وَصَلَ مُحمدٌ إِلَى الطَّائِفِ ، وَكَانَتْ عِندَهُ آمَالٌ ، وَلٰكِن كَيفَ تَتَحَقَّقُ آمَالُهُ إِذَا عَلِمَ الْأَغنِيَاءُ أَنَّهُم سَيَتَسَاوَوْنَ مَعَ عَبِيدِهِم ، وَستَنْقُصُ أَموَالُهُم بِمَا يُؤخَذُ مِنهَا لِلفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ، وَلَن يَكُونَ لَهُمُ الرِّيَاسَةُ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَالْعُمَّالِ إِذَا أَسلَمُوا ؟ فَلَم يَهتَمُّوا بِمُحَمَّدٍ ، وَرَفَضُوا مَبَادِئَهُ ، وَهَزِئُوا بِهِ ، وَأَمَرُوا عَبِيدَهُم وَعُمَّالَهُم الَّذِينَ جَاءَ الرَّسُولُ لِيُدافِعَ عَنهُم وَيُطَالِبَ بِحُقُوقِهِمْ — أَن يُؤذُوهُ ، فَكَانُوا

يَمشُونَ وَرَاءَهُ ، وَيَرمُونَهُ بِالْحِجَـارةِ ، حَتَّى سَالَ دَمُهُ ، وَجُرِحَتْ قَدَماهُ .

تَأَثَّرَ النَّبِىُّ كُلَّ التَّأَثُّرِ ؛ لِلْمُعَامَلَـةِ الْقَاسِيَةِ الَّتِى عَامَلَهُ بِهَا أَهلُ الطَّائِفِ . وَمَعَ كُلِّ هٰـذَا أَخَذَ يَدعُو اللّٰهَ وَيَقُولُ مَا مَعنَاهُ : يَا إِلٰـهِى ، إِليكَ أَشكُو ضَعفَ قُوَّتِـى ، وَهَوَانِى (اِحتِقَارِى) فِى أَعيُنِ النَّاسِ ، يَـا أَرْحَـمَ الرَّاحِمِيـنَ . أَنتَ رَبُّ الْمُستَضعَفِينَ (الضُّعَفَـاءِ) . إِلَـى أَن قَـالَ : « اللَّهُـمَّ اغفِـرْ لِقَومِـى فَإِنَّهُـم لَاَ يَعلَمُونَ » .

وَبعدَ أَن دَعَا اللّٰهَ ، اِزدَادَ صَبرًا عَلَى صَبرِهِ ، وصَمَّمَ عَلَى أَن يَستَمِرَّ فِى دَعْوَتِهِ لِهِدايَةِ الْعَالَمِ إِلَى الطَّرِيقِ الْمُستَقِيمِ ، وَالدِّينِ الْكَامِلِ .

فَاجعَلْ يَابُنَىَّ قِصَّةَ الرَّسُولِ الْعَظِيمِ قُدوَةً أَىْ مَثَلاً لَكَ ، تَتَبِعُهُ وَتَسِيرُ عَلَيهِ فِى حَيَاتِكَ . وَلَا تيأَسْ حِينَمَا تَجِدُ الصُّعوبَاتِ فِى طَرِيقِكَ . وَحَافِظْ عَلَى الْمُثُلِ الإِسلامِيَّةِ الْعُلْيَا . وَاجتَهِدْ وَاصبِرْ حَتَّى تَصِلَ إِلَى الغَرَضِ الَّذِى تَقصِدُهُ . وَتَأَكَّدْ أَنَّكَ سَتَنجَحُ فِى النِّهَايَةِ كَمَا نَجَحَ الرَّسُولُ فِى أَدَاءِ رِسَالَتِهِ .